

الهجوم على مركز الحوران (04 فيفري 1958م)

من خلال الذاكرة الشفوية

هجرسي خضراء

جامعة محمد بوضياف

ملخص:

إن معارك الثورة الجزائرية وأحداثها العسكرية والسياسية والدبلوماسية كثيرة جدا، مختلفة في الزمان والمكان، ومتفاوتة الطول والقصر، ومتنوعة التأثير والنتائج في الداخل وفي الخارج، وقد تم تسجيل البعض منها وتدوينها في الصحف والمجلات وبعض المذكرات والتسجيلات والتقارير، وأخرج البعض منها في أفلام، ولكن الكثير منها لم يسجل ولم يدون ولم يجمع وبقيت حبيسة في صدور أصحابها الذين عايشوها.

من هذا المنطلق أردنا معالجة موضوع الهجوم على مركز الحوران بالناحية الأولى المنطقة الثانية الولاية الثالثة التاريخية بعد مؤتمر الصومام؛ من خلال جمع الشهادات والروايات الشفوية والمسجلة والالتقاء والتحاور مع عدد كبير من المجاهدين والمسبلين من أبناء المنطقة وغيرها ممن لهم اطلاع على أحداث الهجوم أو شاركوا بأنفسهم فيه، أو سمعوا عنه، بغية توثيقه من خلال الفاعلين في الحدث.

الكلمات المفتاحية: الحوران، الولاية الثالثة، الهجوم، معركة الحوران، معارك الجزائر.

Abstract:

Starting with the ultimate importance of historical knowledge as a powerful shield in the face of the culture of forgetfulness or the school of distortion and counterfeiting at the same time. Scientific historical writing represents the most important trait that can enrich and revitalize the level of historical knowledge, especially in subjects that are closely related to national history, Critical periods in the history of modern Algeria and I mean the stage of the liberation revolution (1954-1962).

The battles of the Algerian revolution and its military, political and diplomatic events are very many, different in time and place, and vary in length and minors, and they vary in their influence and results inside and outside. Some of them have been recorded in newspapers, magazines and some memos, recordings and reports and some have been directed in films. None of them were recorded, collected, and were kept in the custody of their owners who lived there.

From this point we wanted to address the issue of the attack on the center of the Houran first area, the second region and the third historical mandate after the Conference of the Soummam; through the collection of testimonies , oral histories , recorded and meeting and having dialogues with a large number of formal warriors of the region and others who have knowledge of the events of the attack or took part in themselves, Or heard about, in order to document it through the actors in the event.

Keywords: Hawran, Third State, Attack, Battle of Houran, Battles of Algeria

مقدمة:

انطلاقاً من الأهمية القصوى التي يمثلها مستوى المعرفة التاريخية كدرع قوي في وجه ثقافة النسيان أو مدرسة التحريف والتزييف في آن واحد فإن الكتابة التاريخية العلمية تمثل في هذا السياق أبرز رافد يمكنه إثراء وإنعاش مستوى المعرفة التاريخية خاصة في مواضيع ذات ارتباط وثيق بالتاريخ الوطني خصوصاً إذا تعلق الأمر بفترات حاسمة ومصيرية في تاريخ الجزائر المعاصر وأقصد بذلك مرحلة الثورة التحريرية (1954 - 1962)م.

ومما لاشك فيه أن حركية النشاط الثوري منذ الانطلاقة في ليلة أول نوفمبر 1954م إلى غاية يوم وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962م ظلت في أمس الحاجة إلى السلاح باعتباره أهم آليات العمل الثوري الميداني المباشر، ولعل أهم الأسئلة إلحاحاً في هذا الموضوع تتعلق بخيارات الحصول على السلاح، وسبل نقله إلى الجزائر، وطرائق ووسائل إدخاله لأرض الوطن، وبعد تشديد الحراسة على الحدود الشرقية والغربية فإن الجبهة عمدت إلى أساليب أخرى من أجل التسليح والتزود بالذخيرة، منها اعتماد الجيش على التسليح بنفسه من خلال المعارك، والهجوم على ثكنات العدو، وفي هذا المضمار نذكر بعض التفاصيل عن استيلاء المجاهدين على أحد هذه المراكز في شهر فيفري 1958م بالولاية الثالثة المنطقة الثانية الناحية الأولى وهو مركز الحوران، من خلال معرفة ملابسات وحيثيات الهجوم على المركز.

الإطار الجغرافي والتاريخي للمنطقة:

تقع الولاية الثالثة في شرق الجزائر وتتألف من مجموعة هامة من الجبال الوعرة منها جبال جرجرة ووادي الصومام وجبال البيبان وجبال البابور وقسم من السهول العليا السطايفية، و الهضاب العليا الشرقية، و جنوب وغرب جبال الحضنة¹، فهي تمتد من ساحل البحر شمالا من شرق أوقاس وبجاية إلى زموري حاليا وبوسعادة جنوبا.

تتشارك مع الولاية الثانية التاريخية من جهة الشرق من سوق الاثنين على البحر إلى غاية سطيف عبر خراطة على طريق الجزائر قسنطينة، وتحدها الولاية الأولى من سطيف إلى بوسعادة عبر برج بوعريريج والمسيلة، ومن الغرب تتشارك مع الولاية الرابعة من زموري على البحر شمالا إلى بوسعادة جنوبا عبر الأخضرية والبويرة وسيدي عيسى وعين الحجل.²

تزخر الولاية الثالثة بموقع جغرافي هام وكذا تضاريس حيث يتألف سطح الولاية من تضاريس متنوعة سهلية منها وأخرى جبلية؛ فالكتل الجبلية تنتمي إلى سلسلة الأطلس التلي الممتدة من الشرق إلى الغرب³، وتحديدًا إلى الكتلة الجبلية الشرقية التي يفصلها عن الكتلة الغربية جبال زكار ومليانة؛ ابتداء من جبال البليدة والأطلس البليدي، تمتد هذه المنطقة في إطارها

- يحي بوعزيز، الثورة في الولاية الثالثة 1954م - 1962م، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2010 م، ص15.¹

- نفسة، ص11.²

³- عائشة حسيني، مداخلة حول "اندلاع الثورة بالمنطقة الثالثة، ومظاهر من التأثر التاريخي بينهما وبين المناطق الثورية الأخرى"، الملتقى الوطني الأول للتاريخ، جامعة البويرة، البويرة، قسم العلوم الإنسانية، ص2.

الجبلي ابتداء من شرق جبال بوزقزة الصعبة التي تشرف على العاصمة، ثم جبال جرجرة وجبال البابور والبيبان⁴، وهي مسطحة في جزئها الجنوبي تقريبا، تشتهر بخوانقها العميقة والضيقة وبحدة قممها وشدة انحدارها.⁵

أما الغطاء النباتي فهو متنوع دائم الخضرة متوسط الكثافة من أنواع أشجاره: الصنوبر، البلوط، الصفصاف، التين، وتتخللها بعض الأحواض و السهول التي يمارس فيها السكان العمل الفلاحي ويربون الحيوانات و يصنعون الأدوات التقليدية من الأخشاب والطين تتميز بنسبة كثيرة من الرطوبة لإشرافها على البحر المتوسط، وتغطي الثلوج قممها العالية في فصل الشتاء، وتكثر بها الينابيع المائية العذبة المتدفقة⁶.

تضمنت الولاية الثالثة التاريخية بعد مؤتمر الصومام أربع مناطق شملت المنطقة الأولى خمسة نواحي والمنطقة الثانية أربعة نواحي والمنطقة الرابعة ناحيتين، بالنسبة لنواحي المنطقة الثانية فقد اشتملت الأولى على الأقسام التالية: بني وقاق، المسيلة، الدريعات⁷، الناحية الثانية اشتملت على البويرة، مشدالة، صور الغزلان، الناحية الثالثة ضمت: تازمالات، أقبوا،

⁴ - عبد القادر حليمي، جغرافية الجزائر، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968م، ص- ص(47-50).

⁵ - عائشة حسيني، المرجع السابق، ص2.

⁶ - المرجع نفسه، ص 12.

⁷ - لقاء مع المجاهد طايي إبراهيم(المذبوح)، بمنزله بالدريعات، 2016/12/29م.

أوزلاقن و الناحية الرابعة: سيدي عيسى، آيت وغليس، لقصر إلى بجاية، أكفادو، آيت عمر وكسيلة.⁸

الناحية الأولى: تمتد الناحية الأولى على مساحة قدرها 3800 كلم²، امتازت بموقعها الاستراتيجي الهام بحيث يحدها من الشمال المنطقة الأولى من الولاية الثالثة أي كلا من الجعافرة، بني عباس، برج بوعريريج، البيبان، تفرق⁹، أما من الشمال الغربي فتحدها الناحية الثانية من الولاية الثالثة أي كلا من وادي مرسى، خراطة، آيت إسماعيل، آيت عميروش، بني سليمان، أما من الجهة الشرقية فتحدها الولاية الأولى من سطيف إلى بوسعادة عبر برج بوعريريج والمسيلة، ومن الغرب الولاية الرابعة من زموري على البحر شمالا إلى بوسعادة جنوبا عبر الأخضرية، والبويرة وسيدي عيسى وعين الحجل وسطيف.¹⁰

موقع مركز الحوران:

الحوران عبارة عن منطقة تقع على بعد حوالي 3 كلم شمال مدينة حمام الضلعة التي تبعد بنحو 30 كلم عن المسيلة، في المسلك المؤدي إلى جبل أولاد

⁸ - تقرير حول تاريخ الثورة بالناحية الأولى المنطقة الثانية من الولاية التاريخية الثالثة 1954م - 1962م، الملتقى الثاني لكتابة تاريخ الثورة ، تيزي وزو، 25 - 26 نوفمبر 1999، ص18.

⁹ - صالح مكاشير، المعارك الكبرى في الولاية الثالثة، أشغال الندوة الوطنية حول المعارك الكبرى في الولاية الثالثة التاريخية، تيزي وزو، 25 - 26 نوفمبر 1999م، ص5.

¹⁰ - يحي بوعزيز، قاموس الشهيد، المنظمة الوطنية للمجاهدين، المكتب الولائي برج بوعريريج، ج1، دار المهدي للطباعة والنشر، 2002م، ص17.

سيدي عمر¹¹ به ثكنة عسكرية فرنسية وهو بذلك يحتل نقطة إستراتيجية وعقدة مواصلات تلتقي لديها عدة طرق¹² منها طريق الحمادية، القصور، الدريعات وطريق سيدي عيسى، بني يلان، ملوزة، وطريق بن دواود، حرازة، المنصورة وطريق المسيلة¹³، ينتصب على ربوة وفيها دار لحراسة الغابات ومن خلاله يتم مراقبة جبال المنصورة وونوغة وبعبارة أخرى يشرف على الهضاب العليا والجبال المحيطة بها، وبالتالي على حركة جيش التحرير الوطني في تلك الناحية¹⁴.

ونتيجة لموقعها الرابط بين ولايات الشرق بولايات الغرب، فقد شهدت عبور عدد كبير من قوافل المجاهدين وقادة الثورة؛ سواء في إطار جلب الأسلحة أو القيام بمهام عسكرية وسياسية مختلفة وعلى سبيل المثال نذكر: تواجد العقيد سي الحواس بالناحية سنة 1956م، العقيد الحاج لخضر، العقيد أحمد بن شريف، القائد عمر إدريس¹⁵، وعلى سبيل التخصيص نشير إلى الاجتماع الهام الذي عقد في سنة 1957م الذي جمع

¹¹ - لقاء مع المجاهد مرزوقي محمد بن لخضر، بقسمة المجاهدين بحمام الضلعة، 2016/12/27م.

¹² - عبد العزيز وعلي، أحداث ووقائع من تاريخ ثورة التحرير بالولاية الثالثة، تقديم: عبد الحفيظ أمقران الحسني، الجزائر، 2011م، ص256.

¹³ - لقاء مع المجاهد مرزوقي الطاهر بن علي، بقسمة المجاهدين ، حمام الضلعة، 2016/12/27م.

¹⁴ - لقاء مع المجاهد بلعباس الباي، بقسمة المجاهدين بحمام الضلعة، 2016/12/27م.

¹⁵ - لقاء مع المجاهد طابي رايح بن نايلي، بقسمة المجاهدين بحمام الضلعة، 2016/12/27م.

العقيد عميروش وسي الحواس بالمكان المسمى "بوسلمون" بقرية الدريعات وبالتحديد بمسكن رئيس اللجنة الخماسية بوساق المكي وقد كان هذا الاجتماع مغلقا، ضم العقيدين فقط، ودام أكثر من ثلاثة أيام.¹⁶

كانت بالمركز وحدة من سلاح الفرسان يقودها ضابط برتبة يوطنا(ملازم أول) يسمى دي بوزا، ويتشكل المركز من ثلاث بنايات بها ستّة مصفحات مجهزة برششات من عيار 7- 12 وأحدها بمدفع عيار 75.¹⁷

2- التخطيط لاقتحام مركز الحوران:

كان لهذا الاقتحام دور كبير في كسر شوكة العدو الفرنسي بالمنطقة وقاعدة "العدو الذي لا يقهر" خاصة وأنه كان حتى فترة حساسة تعاني الثورة كثيرا في جلب السلاح من الخارج ويؤكد ذلك الرائد الطيب صديقي بأن "الخسائر البشرية المعتبرة التي تكبدتها الولاية نتيجة إرسالها لهذه القوافل، إذ أن معظم هذه القوافل لا تعود سالمة، فبعضها كانت تفقد كل جنودها والبعض الآخر يعود منها الربع أو الثلث، ومع ذلك فقد واصلت الولاية إرسال القوافل لجلب السلاح لأن هذه الطريقة كانت أهم وسيلة تسليم آنذاك".¹⁸

¹⁶ - تقرير حول تاريخ الثورة، المرجع السابق، ص- ص(1- 2).

¹⁷ - نبذة تاريخية عن اقتحام مركز الحوران بحمام الضلعة بتاريخ 1958/02/04م، المنظمة الولائية للمجاهدين بالمسيلة، المسيلة، 1992/10/28م، ص1.

¹⁸ - علي العياشي، "لقاء مع المجاهد الرائد الطيب صديقي"، مجلة أول نوفمبر، ع108/109، الجزائر، 1989م، ص28.

لقد كانت مهمة جلب السلاح من الحدود جد صعبة وما يكتسي تلك المهمة من مخاطر خاصة أثناء ذهابها وإيابها حيث تكون شبه عزلاء، وقد وقعت خسائر كبيرة في صفوف قوافل الولاياتين الثالثة والرابعة باعتبار أنها تقعان وسط البلاد، ويتعين على قوافلها قطع مسافة كبيرة مما يزيد في نسبة المخاطر.¹⁹

وأمام هذه المستجدات والصعوبات المتزايدة في جلب السلاح من الخارج، ألح العقيد عميروش²⁰ وشجع وحدات جيش التحرير بالولاية الثالثة للقيام بعملية الاستيلاء على الأسلحة والذخيرة من مراكز العدو وثكناته التي تعتبر مخازن أسلحة الثورة، وهكذا وقع الاستيلاء على بعض المراكز نذكر منها: عملية الاستيلاء على مركز الحوران في إطار برنامج منظم بالولاية الثالثة.

¹⁹ - شوقي عبد الكريم، دور العقيد عميروش في الثورة الجزائرية 1954م، ط5، دار هومة، الجزائر، 2012م، ص164.

²⁰ - ولد في شهر أكتوبر من سنة 1927م بقرية تاسفت أقمون بضواحي جرجرة من عائلة فقيرة، كان رافضا لكل أنواع الوجود الاستعماري ولذلك انخرط في عدة أحزاب وطنية ومنظمات سرية، إذ انخرط في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية وذلك منذ سنة 1950م، وفي هذه السنة ألقى عليه القبض من طرف السلطات الاستعمارية ومنعته من الإقامة في الجزائر أين اضطر للسفر إلى فرنسا في سنة 1954م حيث واصل نضاله حتى عاد للجزائر في أواخر السنة المذكورة، يعتبر العقيد عميروش من الأوائل الذين لبوا نداء أول نوفمبر 1954م وذلك بحكم نشاطاته السياسية والعسكرية التي قام بها قبيل اندلاع الثورة المسلحة، وقد تقلد عدة مناصب أثبت في مختلفها قدرة فائقة مما خوله أن يكون قائد للولاية الثالثة. انظر: محمد عباس، دغول...الجزائر نداء الحق، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2003م، ص- ص(30 - 34).

تم التخطيط للهجوم قبل أكثر من سنة على إثر اتصالات بين المناضل سي محمد زرنوح²¹ من الجلفة المجند بمركز الحوران، حيث كان ينتقل كل يوم سبت من مركز الحوران المجند به على بعد حوالي كيلومترين، ممواها قوات العدو بالتنقل من أجل الاستحمام وشراء ما يلزمه من حاجيات، لكنه كان يقضي معظم وقته مع سكان المنطقة الذين يكونون له محبة خاصة لما يقدمه من دعم للثورة في سرية تامة عن قوات العدو الفرنسي، وبعد عدة اتصالات بينه وبين الشيخ البهلولي أحد سكان حمام الضلعة وعضو اللجنة الخماسية لاستتباب نظام الثورة، بواسطة زوجة الشيخ البهلولي والتي تدعى فاطمة مسهل(1914 - 1985)م الملقبة بالمعلمة نظرا لشجاعته، حيث كانت تمتلك محل تجاري بمنطقة حمام الضلعة²²،

²¹ - ولد محمد زرنوح المدعو الحوراني بالزعفران - الجلفة - سنة 1924م، شب مولعا بعبادات وتقاليد المنطقة، وفي سنوات الأربعينيات انخرط في صفوف الجيش الفرنسي بمدينة المسيلة وعمره لا يتجاوز تسعة عشر سنة. تعاطف محمد زرنوح مع الثورة المسلحة منذ اندلاعها حيث لم يتردد بعدها بالذخيرة والألبسة وتزويدها بالمعلومات العسكرية أينما تواجد، كان من المخططين للإسلاء على مركز الحوران بحمام الضلعة سنة 1958م ويفضله تم الاستيلاء على كمية كبيرة من الذخيرة، ومنذ هذه العملية أصبح يلقب بالحوراني، خاض العديد من المعارك من بينها معركة تيمليوين التاريخية 1958م، معركة جبل الرفعة، استشهد في أفريل 1960م بميدان الشرف في معركة بضواحي القصر ولاية بجاية. أنظر: عبد العزيز وعلي، "بطلان من الجلفة الشهداء: جفال بايزيد وزرنوح محمد"، مجلة أول نوفمبر، ع169، الجزائر، نوفمبر 2006م، ص- ص(82-83).

²² - لقاء مع المجاهد خير الصالح، بقسمة المجاهدين بحمام الضلعة، 27 / 12 / 2016م.

وهناك من قال أنها كانت تعمل كمنظمة بالمركز²³ الأمر الذي ساعد على ربط الاتصالات مع المجاهدين، وهذا ما يبين دور المرأة في ثورة التحرير سواء في المدينة أو الريف فهي مجاهدة في أي موقع كانت فيه²⁴.

وبعد أن أثبت العريف الأول سي محمد الحوراني (محمد زرنوح) صدق نيته وإخلاصه للثورة وذلك بعد أن سلم المجاهدين عدة مرات بواسطة المجاهدة فاطمة مسهل كمية كبيرة من الذخيرة كبرهان على صدقه تم تقديمه إلى قيادة الناحية بواسطة السعيد زموري المكلف بالاتصال وجمع الأخبار، وتم عقد لقاء مع قائد الناحية رابح بلجرو بالتنسيق مع المحافظ السياسي بوساق معمر المدعو سي عبد العزيز بمنزل المسبل الأطرش عيسى تم من خلاله دراسة إمكانيته الهجوم على المركز²⁵ وطلبت قيادة الناحية تقرير مفصل وإعداد مخطط للمركز من قبل محمد زرنوح، وبعد التأكد من عوامل النجاح تم عرض الخطة على قيادة الناحية التي بدورها اتخذت لكل الترتيبات اللازمة للهجوم وتم استشارة قيادة المنطقة التي وافقت بشرط مشاركة فرقة تابعة لها²⁶.

²³ - سعيد سعود، شريط سمعي بصري، الملتقى الأول لكتابة تاريخ الثورة، الدريعات، 20 / 06 / 1998م.

²⁴ - عبد العزيز وعلي، "دور النساء الفعال في مسيرة الثورة التحريرية بالولاية الثالثة"، مجلة أول نوفمبر، ع180، الجزائر، نوفمبر 2015م، ص- ص(17- 20).

²⁵ - مقلاتي عبد الله، التاريخ العسكري للثورة الجزائرية وأهم المعارك الكبرى، موسوعة تاريخ الثورة الجزائرية، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013م، ص- ص(207- 208).

²⁶ - محمد النذير بوشمال، شريط سمعي بصري، الملتقى الأول لكتابة تاريخ الثورة، الدريعات، 20 / 06 / 1998م.

والجدير بالذكر أن المركز يحتوى على أسلحة متنوعة وذخيرة هامة ²⁷ بالإضافة إلى موقعه الإستراتيجي كمركز متقدم تحيط به عدة مراكز تشكل طوقا حقيقي يحد من نشاطات الثورة وتحركات المجاهدين، خاصة اتصالاتهم مع باقي الولايات التاريخية المجاورة وأن هذه المنطقة كانت تمثل منطقة عدو للمجاهدين.

كان قائد الهجوم رابح بلجرو وبالإضافة إلى سعيد سعود المدعو لوشكيش والرقيب إبراهيم بن عوف قائد الفوج الأول المكلف باقتحام المطعم والمطبخ على أساس أن جميع عساكر العدو يتناولون وجبة العشاء وحتى الحرس كانوا بالقاعة، وأخذوا مكان الحراسة زرنوح محمد على أساس التعليمات التي عندهم، أما بالنسبة للفوج الثاني كان قائده بلقاسم شرفاوي الذي تولى مكان الحراسة الليلية، وقائد الفوج الثالث محند وعلى الذي كانت مهمته اقتحام الدبابات، كما أمرتهم القيادة بضرورة الاستعانة بفيلق المنطقة الثانية كما دعمت قيادة الولاية الناحية الأول بفيلق بقيادة موح أرزقي حيث يذكر المجاهد عبد المجيد عزي: "انطلقت كتيبة الفيلق الثالثة في بداية الظهيرة لتصل إلى نقطة الالتقاء المقررة مع حلول الظلام وتتضمن هناك لكتيبة الناحية الأولى بقيادة بن عوف النعيمي الذي ينتظر على مقربة من المركز وبحضور أربع أعضاء لجنة الناحية بمن فيهم قائدها الملازم رابح بلجرو وسعيد سعود المدعو لوشكيش وعيسى بلاندي وبوبكر مسعودي ²⁸ في حين تبقى كتيبة الناحية الثانية لتأمين التغطية في بني وقاق، في حين

²⁷ - عليّة عثمان بن الطاهر، كمين الحوران(بلدية حمام الضلعة في شهر فيفري 1958م)، مجلة أول نوفمبر، ع61، 1983م، ص95.

²⁸ - لقاء مع المجاهد طيوب بن السعدي بن علي، بقسمة المجاهدين، حمام الضلعة المسيلة، 2016/12/28م.

كانت كتيبة أخرى في طريق حرازة وين داود والمنصورة من أجل الحماية والكتيبة الثالثة تبقى احتياط"²⁹، وبالفعل هذا ما يؤكد سعيد سعود حيث يقول: "تولت بقية الفصائل عملية تأمين الطريق ووضع الكمائن على طريق سيدي عيسى بني يلماح حمام الضلعة والطريق الرابط بين حرازة والمهير وطريق بن داود المهير، فيما تتولى الفصيلة الثالثة مهمة نصب كمين للقوات المتواجدة بالبرج والتي يمكن لها التثقل عبر طريق المنصورة المهير"³⁰

تنفيذ الهجوم:

تم تطويق المركز من كل الجهات والمسالك وعلى بعد 25 كلم تقريبا من كل الجهات وفي حوالي الساعة السابعة إلا ربع وهو الوقت المتفق عليه بين القيادة تلقى المجاهدون الإشارة من طرف محمد زرنوح وكان رمز الشروع في العملية هو إشعال مصباح كهربائي يدوي ثلاث مرات³¹، حينئذ انطلقت الكتيبتان وباغتتا حامية المركز كما هو متفق عليه فطوق المجاهدون المركز من جميع الجهات واحتلوا مراكز المراقبة، أما الفوج الثالث بقيادة إبراهيم بلعوف والسعيد لوشكيش فقد اقتحموا المطعم أين يتواجد العساكر الفرنسيين وأمرهم الرائد سعيد لوشكيش برفع أيديهم، وتوصل أحد الجنود إلى أن يمسك بسلاحه وأطلق الرصاص فأصيب الرائد

²⁹ - عبد المجيد عزي، مسيرة كفاح في جيش التحرير الوطني الولاية الثالثة، دار الجزائر للكتب، الجزائر، 2011م، ص133.

³⁰ - لقاء مع المجاهد سعيد سعود لوشكيش بمنزله، الياشير برج بوعرييج، 1 / 01 / 2017م، الساعة 09:00.

³¹ - محمد النذير بوشمال(موسطاش)، حياة المجاهد محمد النذير بوشمال (موسطاش)، دار الهدى للنشر والطباعة، عين مليلة، 2009م.

لوشكيش في ذراعه واستشهد العريف الأول بلقاسم شرفاوي وهذا ما أكده مجاهدوا المنطقة ³².

وبهذا لم يبق لجنود الحراسة بعد هذه المفاجأة الجريئة إلا أن يرفعوا أيديهم ويسلموا أنفسهم للمجاهدين، وبعد تقييد الأسرى بالحبال وعلى رأسهم الملازم دي بوزا شرع المجاهدون في تحطيم تلك الدبابات وتدمير المركز المكون من ثلاث بنايات بمساعدة سي محمد الحوراني ونزلت فرقة احتياطية من الربوة وحضر المسبلون بالبالغال (63 بغلا) ³³ التي جلبت لهذا الغرض من الدريعات وأولاد بوهدى ³⁴ وأولاد سيدي عمر وهذا ما ذكره الرائد سعيد سعود، وأخذوا في تعبئة الذخيرة والمعدات والأسلحة، كما كان عدد الأسرى 24 من بينهم 2 حراس الغابة من المنصورة وثلاث خونة من حمام الضلعة و19 جندي من بينهم العريف الأول دي بوزا ³⁵.

انتهت العملية حوالي الساعة العاشرة وعشرون دقيقة وبقي هناك المسبلون يجمعون في الحبوب الجافة والألبسة ³⁶... وكان المسؤولون يفكرون

³² - لقاء مع المجاهد بوهدى محمد، بقسمة المجاهدين بحمام الضلعة، المسيلة، 27/12/2016م.

³³ - لقاء مع المجاهد سليم محمد الجعدوري المدعو السامعي، بالمنظمة الولائية للمجاهدين بالمسيلة، 14/12/2016م.

³⁴ - سعودي بوبكر، الملتقى الأول لتاريخ الثورة، المرجع السابق، ص25.

³⁵ - عبد الحفيظ آقران الحسيني، مذكرات من مسيرة النضال والجهاد، دار الامة، الجزائر، 2010م، ص08.

³⁶ - لقاء مع المجاهد طاببي المداني، بقسمة المجاهدين حمام الضلعة، المسيلة، 27/12/2016م.

في كيفية إتمام هذه المعجزة وإبلاغها إلى مأمنها إذ كان من المتوقع أن العدو سيحشد حشود لمطاردة الوحدة التي ضربته في عقر داره ضربة قاسية وكانوا يتأملون في أقرب الطرق وأسهلها لتبليغ الأمانة إلى مركز الولاية³⁷ حيث اتجهت القافلة نحو غابة بني وقاق في حدود منتصف الليل لتصل إلى المكان مع طلوع الفجر بعد مسيرة ماضية استمرت ستة ساعات عبر سفوح جبل سيدي عمر ومنحدرات الحمراء وأولاد عباس وأحراش المهير حتى وصلوا إلى بني وقاق أين وجدوا كتيبة ثانية في انتظارهم بقيادة الملازم البشير البلولي، ثم تحركت القافلة في مساء الغد في اتجاه أكفادو وعند وصولهم إلى مشدالة تخلفت هناك كتيبة الملازم محند وعلى (سي خالد) للاستراحة، بينما واصلت القافلة مسيرتها في اتجاه الموقع المحدد لها.

أبعاد الهجوم وتأثيراته على الساحة الوطنية:

1- قام العدو في اليوم التالي بعملية تمشيط واسعة النطاق في الناحية وراح يقبل القرى والدواوير والمشاتي المجاورة لحمام الضلعة³⁸، وألقى القبض على المئات من السكان العزل لاستنطاقهم حول مصير الأسرى والأسلحة بل وأعدم الكثير منهم، كما أحرق عدة قرى وغابات كانت محيطة بالجهة³⁹.

³⁷ - لقاء مع المجاهد سفاري عامر، بقسمة المجاهدين حمام الضلعة، المسيلة، 12/28/2016م.

³⁸ - لقاء مع المجاهد سحنون عمر، بقسمة المجاهدين بحمام الضلعة، المسيلة، 08/12/2016م.

³⁹ - لقاء مع المجاهد طاببي رابح بن علي، بقسمة المجاهدين بحمام الضلعة، المسيلة، 27/12/2016م.

2- وصلت وحدات الجيش الفرنسي إلى ضواحي الوادي البارد ومشدالة في صباح الغد من ذلك اليوم، أين وقع اصطدام بين الجيشين في معركة ضارية بين جنود العدو وأعضاء كتيبة الملازم محند وعلي (سي خالد)⁴⁰، ولكن إستراتيجية الموقع يجعل المعركة لصالح المجاهدين لأن الموقع عبارة عن سفوح وعرة مغطاة بأشجار كثيفة ومجاري مياه مغطاة بدورها بنبات كثيف وعدم وجود طرق، استمرت المعركة إلى غاية حلول الظلام وكانت النتيجة سقوط ثلاث شهداء من كتيبة محند وعلي، أما العدو فقد سقط الكثير من جنوده في الميدان.⁴¹

3- كما قام العدو بعد هذا الانتصار الباهر بإعدام الملازم البطل سي الحسين صالح الذي أسر في الميدان من طرف الجيش الفرنسي في ضواحي برج منايل حيث نفذوا تلك الجريمة الشنعاء في المكان يسمى "بوربعطاش" في ضواحي "أدكار" الأمر الذي جعل قيادة الولاية الثالثة تصدر حكم الإعدام بدورها على الملازم "دي بوزا" الذي أسرى في مركز الحوران وهكذا أخذوا إلى نفس المكان "بوربعطاش" حيث نفذ فيه حكم الإعدام وكتبت معلقة على صدره: "...إن النفس بالنفس والعين بالعين...والجروح قصاص..." وبعثت

⁴⁰ عبد العزيز وعلي، أحداث ووقائع في ثورة التحرير بالولاية الثالثة، المرجع السابق، ص (258 - 259).

⁴¹ عبد العزيز وعلي، "الشهيد الملازم بن سي خالد محند وعلي المدعو سي خالد"، مجلة أول نوفمبر، العدد 179، مارس 2015م، ص 84.

القيادة إلى أهله وصحيفة لوموند في فرنسا بمقال يتضمن هذه المعاني التي تندرج في قوانين العدالة والدفاع عن الكرامة وشرف الجهاد والوطن⁴².

4- كما قام الجنرال صالان القائد العام للجيش الفرنسي بالجزائر بمراسلة مختلف الهيئات والقيادات العسكرية وإخبارها بظروف اقتحام مركز الحوران والاستيلاء عليه من طرف الفلاقة حسب تعبيره (المجاهدين) وبين خسارة الجيش الفرنسي في هذا الاقتحام من قتلى وأسرى وأسلحة ويطلب من الجميع اليقظة وأخذ الاحتياطات اللازمة⁴³.

من هنا يتبين أهمية هذه الواقعة على الجيش الفرنسي وقيادته ماديا ومعنويا حيث قام العدو بتغيير المركز بتحويله إلى وسط حمام الضلعة وبهذا فقد نجح جيش التحرير في قلب موازين القوى لصالحه عسكريا وسياسيا.

وبخصوص الجنود الأسرى وحسب رواية المجاهد سعيد سعود أنه " كان عدد الأسرى 24 شخصا منهم اثنان (02) حرس للغابات من المنصورة و ثلاثة (03) خونة و 19 جندي فرنسي، منهم الضابط دي بوزا الذي أعدم بقرار من قيادة الولاية الثالثة، وجندي حاول الفرار فقتله المجاهدون، وجندي آخر مات في معركة بين المجاهدين والقوات الفرنسية، وآخر مات غرقا عند قطع الوادي فبقي 15 جنديا..."⁴⁴

⁴² - لقاء مع المجاهد سعيد سعود المدعو لوشكيش، بمنزل بالياشير برج بوعريج، 01/01/2017م.

⁴³ - نسخة عن الوثيقة موجودة بمتحف المجاهد بالمسيلة.

⁴⁴ - سعيد سعود، لقاء خاص في بيته، الياشير، برج بوعريج، يوم 01/01/2017م.

تلقي الجنود البقية معاملة حسنة إنسانية حسب تعاليم الإسلام وتعليمات الثورة في الميدان⁴⁵ وبقوا في أكفادوا شهورا معدودة، استطاعوا خلالها أن يكتبوا أهاليهم في فرنسا مذكرين بإنسانية المجاهدين وشرف الثورة وعدالة القضية، أطلق سراحهم بعد 17 شهرا من طرف عبد الرحمان ميرة، وقد صرح ثلاثة (03) جنود من الأسرى السابقين في القناة الفرنسية الرابعة في سنة 2016م عن إنسانية المجاهدين ومعاملتهم وقد كانوا يبحثون عن مجاهد كان المسؤول عن المساجين اسمه عمي مقران، كان يعاملهم بالحسنى حتى يشكروه⁴⁶.

بالمقابل فقد عمت الفرحة جميع مجاهدي ومسؤولي المنطقة الثانية لاسيما قائد الولاية عميروش الذي أبى بعد هذا الانتصار إلا أن يجازي المسؤولين عن الكتيبتين المنفذتين للعملية بترقيتهم وإعطائهم أوسمة عسكرية وتقديم الشكر والتشجيع لجميع المجاهدين في اجتماع بهيج في نفس المنطقة ولهذا السبب قال عميروش "...إنه عمل عظيم الذي قمتم به...أهنئكم، وهكذا يجب أن يكون كفاحنا، فعلى جميع النواحي والمناطق أن تتأمل وتعمل مثل هذا بهذه الروح والإقدام سنعطى درسا لن ينساه أبدا..."⁴⁷

⁴⁵ - جودي أتومي، العقيد عميروش بين الأسطورة والتاريخ، وزارة المجاهدين، الجزائر، ص - ص(265 - 267).

⁴⁶ - لقاء مع المجاهد سعيد سعود.

⁴⁷ - شوقي عبد الكريم، المرجع السابق، ص165.

الخاتمة:

يعد الهجوم على مركز الحوران إحدى أنجح العمليات المدوية التي شنها جيش التحرير الوطني، ونحن اليوم متيقنون من أن هذا الإنجاز البطولي الذي قام به مجاهدو المنطقة الثانية التابعة للولاية الثالثة سيبقى محفورا في الذاكرة، لكن من يتذكره اليوم غير سكان المنطقة الذين شاهدوا الحدث؟ ومن يحتفل بهذه الذكرى؟ من الذي يتحدث عن هذا العمل البطولي الذي أثر في نفوس المجاهدين أيما تأثير؟

قائمة المصادر والمراجع:

1. لقاء مع المجاهد سعيد سعود لوشكيش بمنزله، الياشير، برج بوعريريج، 1 جانفي 2017م.
2. لقاء مع المجاهد بوهدى محمد، بقسمة المجاهدين، حمام الضلعة، المسيلة، 27/12/2016م.
3. لقاء مع المجاهد خير الصالح (14/02/1936م)، بقسمة المجاهدين، حمام الضلعة، المسيلة، 27/12/2016م.
4. لقاء مع المجاهد طاب المدني بن لخضر (1 جانفي 1938م)، بقسمة المجاهدين، حمام الضلعة، المسيلة، 27/12/2016م.
5. لقاء مع المجاهد مرزوقي محمد بن لخضر (09/12/1935م)، بقسمة المجاهدين، حمام الضلعة، المسيلة، 27/12/2016م.
6. لقاء مع المجاهد موساوي العربي (1933م)، بقسمة المجاهدين، حمام الضلعة، المسيلة، 27/12/2016م.
7. لقاء مع المجاهد مرزوقي الطاهر بن علي، بقسمة المجاهدين، حمام الضلعة، المسيلة، 27/12/2016م.
8. لقاء مع المجاهد طابي رابع بن تايلي، بقسمة المجاهدين، حمام الضلعة، المسيلة، 27/12/2016م.
9. لقاء مع المجاهد سفاري عامر (1936م)، بقسمة المجاهدين، حمام الضلعة، المسيلة، 28/12/2016م.
10. لقاء مع المجاهد سحنون عمر (04/06/1939م)، بقسمة المجاهدين، حمام الضلعة، المسيلة، 27/12/2016م.
11. لقاء مع المجاهد بلعباس الباي (06/01/1935م)، بقسمة المجاهدين، حمام الضلعة، المسيلة، 27/12/2016م.

12. لقاء مع المجاهد طيوب بن السعيد بن علي(1936م)، بقسمة المجاهدين، حمام الضلعة، المسيلة، 2016/12/28.
13. لقاء مع المجاهد طابى براهيم المدعو المذبوح ببيته، الدريعات حمام الضلعة، المسيلة، 2016 / 12/29م.
14. لقاء مع المجاهد سليم محمد جعدوري المدعو السامعي، بالمنظمة الولائية للمجاهدين، المسيلة، 2016/12/14م.
15. لقاء مع المجاهد غياط أحمد، المنظمة الولائية للمجاهدين، المسيلة، 2016/12/08م.
16. تقرير حول تاريخ الثورة بالناحية الأولى المنطقة الثانية من الولاية التاريخية الثالثة 1954م- 1962م، الملتقى الثاني لكتابة تاريخ الثورة ، تيزي وزو، 25- 26 نوفمبر 1999م.
17. صالح مكاشير، المعارك الكبرى في الولاية الثالثة، أشغال الندوة الوطنية حول المعارك الكبرى في الولاية الثالثة التاريخية، تيزي وزو، 25- 26 نوفمبر 1999م.
18. علي العياشي، لقاء مع المجاهد الرائد الطيب صديقي، مجلة أول نوفمبر، ع108/109، الجزائر، 1989م.
19. محمد عباس، دغول والجزائر نداء الحق، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2003م.
20. أحمد مرزوق، شهادة بعض المجاهدين، الملتقى الجهوي لكتابة تاريخ الثورة 1954م الولاية الثالثة، المنظمة الوطنية للمجاهدين، ج1، تيزي وزون 7- 8/02/1985م.
21. جودي أتومي، العقيد عميروش بين الاسطورة والتاريخ، وزارة المجاهدين، الجزائر، (د.ت).
22. سعودي بوبكر، الملتقى الأول لكتابة تاريخ الثورة، الدريعات، 1998م.

23. سعيد سعود، شريط سمعي بصري، الملتقى الأول لكتابة تاريخ الثورة، الدريعات، 20 جوان 1998م.
24. شوقي عبد الكريم، دور العقيد عميروش في الثورة الجزائرية 1954م، ط5، دار هومة، الجزائر، 2012م.
25. عائشة حسيني، مداخلة حول "اندلاع الثورة بالمنطقة الثالثة، ومظاهر من التآزر التاريخي بينهما وبين المناطق الثورية الأخرى"، الملتقى الوطني الأول للتاريخ، جامعة البويرة، البويرة، قسم العلوم الإنسانية.
26. عبد الحفيظ أمقران الحسيني، مذكرات من مسيرة النضال والجهاد، دار الامة، الجزائر، 2010م.
27. عبد العزيز وعلي، "الشهيد الملازم بن سي خالد محند وعلي المدعو سي خالد"، مجلة أول نوفمبر، العدد 179، مارس 2015م.
28. عبد العزيز وعلي، "بطلان من الجلفة الشهيدان: جقال بايزيد وزرنوح محمد"، مجلة أول نوفمبر، ع169، الجزائر، نوفمبر 2006م.
29. عبد العزيز وعلي، "دور النساء الفعال في مسيرة الثورة التحريرية بالولاية الثالثة"، مجلة أول نوفمبر، ع180، الجزائر، نوفمبر 2015م.
30. عبد العزيز وعلي، أحداث ووقائع في ثورة التحرير بالولاية الثالثة، تقديم: عبد الحفيظ مقرآن الحسني، 2011م.
31. عبد العزيز وعلي، أحداث ووقائع من تاريخ ثورة التحرير بالولاية الثالثة، تقديم: عبد الحفيظ أمقران الحسني، الجزائر، 2011م.
32. علية عثمان بن الطاهر، كمين الحوران (بلدية حمام الضلعة في شهر فيفري 1958م)، مجلة أول نوفمبر، ع61، 1983م.
33. عبد القادر حليمي، جغرافية الجزائر، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968م.

34. عبد المجيد عزي، مسيرة كفاح في جيش التحرير الوطني الولاية الثالثة، دار الجزائر للكتب، الجزائر، 2011م.
35. محمد النذير بوشمال(موسطاش)، حياة المجاهد محمد النذير بوشمال (موسطاش)، دار الهدى للنشر والطباعة، عين مليلة، 2009م.
36. محمد النذير بوشمال، شريط سمعي بصري، الملتقى الأول لكتابة تاريخ الثورة، الدريعات، 20 جوان 1998م.
37. مقالاتي عبد الله، التاريخ العسكري للثورة الجزائرية وأهم المعارك الكبرى، موسوعة تاريخ الثورة الجزائرية، وزارة الثقافة، 2013م.
38. نبذة تاريخية عن اقتحام مركز الحوران بحمام الضلعة بتاريخ 04 - 02 - 1958م، المنظمة الولائية للمجاهدين بالمسيلة، المسيلة، 28 - 10 - 1992م.
39. يحي بوعزيز، الثورة في الولاية الثالثة 1954م - 1962م ، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2010م.
40. يحي بوعزيز، قاموس الشهيد، المنظمة الوطنية للمجاهدين، المكتب الولائي برج بوعريريج، ج1، دار المهدي للطباعة والنشر، 2002.